الفصل الثالث

الدّعوة بالتدوين

- التأليف والصحافة والنقد.
- التوقيعات والأمثال.
- الرسائل والتسجيلات والرموز
- مختارات.

الدعوة بالتدوين

التأليف

امتلأت الدنيا بالمؤلفات.. وأصبح في كل بيت مكتبة، بل في كل مكتب مكتبة... وشجع تقدم فن الطباعة وصناعة الورق وسهولة النقل على مضاعفة المطبوعات بشكل هائل، وانتهى عهد النسخ على الشمعة وصناعة الوراقة الضعيفة..

فما هي نوعية تلك التآليف؟

إن الكتب والمجلات الجنسية تحتل مكان الصدارة دون جدال، ثم تأتي بعدها الصحف اليومية والمجلات الأسبوعية والدورية، ثم تأتي الروايات والقصص، وكتب الجريمة والفساد، وقد تأتي الكتب الدينية في آخر القائمة، وهذا شيء منطقي في كل المجتمعات المادية التي لا ترى لها حاجة بالدين.. فالذي لاشك فيه أن الغذاء الفكري المتداول – للكبار والصغار على السواء – ليس هو الأفضل ولا هو الأنسب.

إذن لابد للدعاة من الانتقاء والتأليف..

ونعني بالانتقاء: اختيار ما يصلح من الموجود للتثقيف الشخصي وحسن تنشئة الجيل الجديد.

أما التأليف: فلا بد منه لإكمال النقص الظاهر في سوق الكتب، ويكون التأليف ذا شقين:

الشق الأول: اختصار الكتب الكبيرة النافعة وإعادة طبعها بتبويب حسن وإخراج جميل يشجع على القراءة.

الشق الثاني: تأليف كتب جديدة في أبواب نافعة تناسب العصر، ذلك العصر المتقدم علميًا، المتمرد نفسيًا، المتخلف عقليًا.

نقد المؤلفات: وفي دنيا الكتب اليوم، عدد لا يستهان به من الكتب العربية التي ألفت في البحوث الدينية – وإذا استثنينا عددًا قليلًا منها، فيمكن أن توجه لأكثريتها الانتقادات الآتية:

١ـ التكرار: إذ لا تكاد توجد رابطة تنسيق بين المؤلفات، فكل إنسان يكتب ما يعن له.

٢ـ ضعف المستوى العلمي، وفقدان المنهجية والدراسة المسبقة.

٣ـ سوء الإخراج: كضآلة الحروف وكثرة الأغلاط وسوء الترتيب.

٤ـ عدم الموضوعية وإهمال الأبواب المطلوبة فعلا – مثل ربط الدين بواقع الحياة، ونقص الدراسات العلمية لمواجهة الأفكار المضادة، والعناية بمناهج البحث السليمة.

وعلاجًا لهذه الفوضى «التأليفية» نقترح على المشتغلين بالدعوة الإسلامية أفرادًا وجماعات أن تنشأ لجنة ثقافية على مستوى التجمع الإسلامي الكبير، تكون مهمتها مراجعة مشروعات التأليف الإسلامي وتقديم التوصية بشأنها دون محاباة ولا مجاملة، بشرط أن تعرف مكانتها وتنجو من أية سيطرة سياسية أو مذهبية أو محلية، ولا مانع من أن تدفع لها رسوم معينة –كأجور للمراجعة– كما توصى دور النشر باحترام هذه اللجنة، أو بوضع اسمها على المؤلفات المعتمدة لتعطيها مزيدًا من الثقة.

وتكون مهمة هذه اللجنة أن تتناول المخطوط الذي يقدم لها، وتنظر فيه ثم ترد على مرسله خلال مدة معينة بمثل قولها:

* نشر في موضوعه كتاب كذا وكذا.. وغيره أولى بالنشر منه.

* أو تقول: «كتاب جديد في موضوعه جدير بالنشر وربما يلقى معارضة من جهة كذا».

* أو تقول: «يحسن أن تضاف إليه الأبواب الآتية... مع ذكر المراجع، وحذف الأبواب الآتية وتعمل لها فهارس».. أو تقول: «ينقص حجمه، أو يزيد حجمه إلى كذا»... إلخ.

وبهذه الطريقة يقل ما نشاهده من الإنتاج الهزيل.. ويبرز الإنتاج الجيد، وتنشأ رابطة إقليمية على مستوى موثوق.

وقد ينبثق عنها شيء أفضل.. ومن سار على الدرب وصل.

لاشك أن الثغرات التي يجب ملؤها بمؤلفات جديدة ليست قليلة.. والمجال واسع مفتوح.. وإنما ينبغي الحذر والأناة.

* فعلينا أن نجتهد في التقصي والاطلاع، لنتأكد من أن الذي نحاوله لم يسبقنا إليه أحد، بمثله أو بأفضل منه.

* وعلينا أن نستأنس بوجهات نظر إخواننا العلماء والباحثين – قبل طرح الكتاب في السوق- حتى لا نتعرض نحن أو يتعرض كتابنا لهجوم مضاد من المتربصين بالعمل الإسلامي، أو الذين يرون أنفسهم أولى بقيادته.. وهم كثير..

* وعلينا أن نلاحظ في مادة التأليف أن تكون ميسرة لخدمة الدعوة، مع سهولة التناول (كسهولة الحمل والاطلاع والتدبير والتكلفة المادية أيضًا).

وإذا لم يجد الداعية الفرصة أو القدرة على التأليف بنفسه، فليقترح الموضوع على غيره، أو ليدل الناس على ما أعجبه من الكتب والمقالات، أو يجتهد في تحذيرهم من شرورها.

الصحافة

يزداد الاهتمام بالشئون الصحفية في العالم يومًا بعد يوم، خصوصًا في البلاد التي تملك التعبير عن الواقع بحرية أكبر.

وبعض الأدباء يرفض أن يكون وزيرا – ويتمسك بعمله كصحفي، ولا عجب في ذلك فالوزير يوجه وزارته فقط- إن استطاع توجيهها- لكن الصحفي الناجح، يملك توجيه الأمة بأسرها.. وربما غيرها من الأمم.

وليس الداعية الناجح هو الذي يلبس عمامة[1] أو طربوشًا ويقف في المسجد ليقول للمصلين: «عليكم بإقامة الصلاة».

---

(١) مع احترامنا للعمامة بطبيعة الحال.

ولا هو الذي يسعد بإلقاء الأوامر الشديدة على مجموعة من البؤساء ليزيدهم بها بؤسًا، أو يستدر دموعهم، إنما الداعية الناجح هو الذي يقوم بالدور الممكن في نشر الوعي السليم والفقه بين الناس، أو الدور الممكن في تربيتهم على السلوك الحسن، ولماذا تظل المنابر المهمة والمراكز الحساسة حكرًا على الذين لا يعلمون أو الذين لا يعملون؟

إن على الدعاة أن ينتشروا في كل مكان، وعليهم أن يشغلوا من الأعمال ما يرونه الأفضل لتثبيت مكانهم وما يرونه الأرجى لنشر دعوتهم.

المقال الصحفي

ليس هذا مجال التفصيل في فن كتابة المقال، فالوصول إلى المستوى الجيد يحتاج للدراسة النظرية الموضوعية ثم التدريب المستمر – بإشراف أهل هذه الصناعة- وإنما المقصود هو أن يأخذ الداعية سمتًا متميزًا في مقالاته.

متميزًا عن تجار الأدب: الذين يبحثون عما يروج ويستغرب فيخوضون فيه – بدافع الكسب المالي والأدبي، دون نظر إلى أي اعتبار ديني أو إصلاحي أو أخلاقي.

ومتميزا عن محترفي الوعظ التقليدي: الوعظ المرتبط بوظيفة معينة لها مفتش وتقرير وترقية واعتبارات لإرضاء المسئولين – دون توفر الانفعال الداخلي.

ومتميزًا في المنهج: بحيث يكون جامعا بين المعقول والمنقول – فلا يجحف بحق أحدهما على حساب الآخر- فديننا.. يحترم العقل ولكن لا يؤلهه - ويؤمن بالمنقول الصحيح وإنما يتناوله ببصيرة وتدبر.

ومتميزًا في الموضوع: فيختار الأديب الداعية من الأبواب ما يلامس حاجة القراء – ويمس قضايا الحياة.. ويعدل المائل من انحرافات الجماهير- ويكون أسلوبه واقعيًا لا خياليًا، فلا يطالب الآخرين بما يتعذر تنفيذه، أو ما يشق عليهم بالذات.

وفي هذه الحدود يكون المقال... مثمرًا..

إن اقتحام مجال الصحافة ليس شيئًا عسيرًا، وحتى تلك الصحف التي يصفها البعض بأنها منحرفة الاتجاه – يمكن التعامل معها.. وقد لا يكون العيب فيها ولكن فيمن يعملون فيها – والصحيفة كالآلة.. تحتاج للوقود الدائم فإن كانت مقالتك حاضرة وموضوعها مناسبا ومادتها قوية – فإن فرص النشر تتوفر لك حتمًا، والنجاح يؤدي إلى مزيد من النجاح.

وقل مثل ذلك عن مجالات الإذاعة والتليفزيون، هذه الوسائل الجبارة.. أهل الحق أولى بها، ولا يمنع حصول الفشل مرة من المحاولة وإعادة الكرة.. وإذا صدق العزم وضح السبيل.

النقد

لا نقصد الانشغال بالنقد الأدبي لذاته – مع تقدير أهميته - لأنه يدخل في باب الترف العلمي، ولا وقت لدى الدعاة لهذا وأمثاله.

وإنما نقصد بالنقد – الرد على أخطاء الكتَّاب التي تسيئ للمفاهيم الإسلامية بأي وجه من الوجوه سواء أكان في أبواب العقيدة أو في أبواب العبادة أو المعاملة.

ويتحتم على كل مسلم يعرف واجبه في النهي عن المنكر، أن ينبري للرد على أهل الجهل وأهل الزيغ والضلال، فإن وقعت عيناك على شيء من هذا فتناول القلم والورقة، واكتب ردًّا أو عدة ردود – وابعث بها إلى صحيفة تتوقع منها أن تنشر- فإن لم تجد ففي رسالة خاصة .. ولك أن تعلن عن اسمك وعنوانك أو لا تعلن- المهم أن يصل ذلك التصحيح إلى فاعل الخطأ- أعذر إلى الله تعالى- وهو مقلب القلوب.

أما السلبية – والسكون والانعزال والموات... أما الاعتماد على الآخرين ممن يسمونهم «رجال الدين» فليس من خلق المسلم بحال من الأحوال.

وإذا لم تملك مادة الرد فحرض العلماء أو أهل الاختصاص على أن يتولوا ذلك عنك – وعندها تكون قد أعذرت إلى الله.

إن سكوت المؤمنين عن إنكار المنكر، قد أفسح المجال للمقهورين والمتآمرين ليعملوا جاهدين في هدم حصون الإسلام – والإسلام عزيز- لا ينبغي أن تنهدم داره وأهله أحياء.

التوقيعات والأمثال

* **أما التوقيعات:** فهي الأوامر التي يصدرها الرئيس المسئول، ليقوم المرؤوسون بتنفيذها، وهي تشبه «التأشيرات» التي يكتبها الرؤساء على الأوراق في الدواوين اليوم.. إلا أن التوقيعات كانت في الغالب ردودًا موجزة مستقلة تشتمل على البلاغة والإيجاز، وأحيانًا تشتمل على موعظة رائعة، تجمل الرأي وتشع بالحكمة وتقطع الجدل.. وأحيانًا يعتبر التوقيع خطابا كاملًا.. وفيما يلي طائفة منها:

* كتب عمر رضي الله عنه إلى أهل الأمصار (الأقاليم):

«إني لم أعزل خالدًا عن سخطة ولا خيانة، ولكن الناس فتنوا به، فخفت أن يوكلوا إليه ويبتلوا به، فأحببت أن يعلموا أن الله هو الصانع وألا يكونوا بعرض فتنة».

* وكتب مسيلمة الكذاب للنبي ﷺ: «من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله.. سلام عليك، أما بعد .. فإني أشركت في الأمر معك، وإن لنا نصف الأرض ولقريش نصف الأرض، ولكن قريشًا قوم يعتدون».

فكتب إليه رسول الله ﷺ: «**بسم الله الرحمن الرحيم .. من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب .. سلام على من اتبع الهدى، أما بعد .. فإن الأرض لله، يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين**».

* وكتب عمر إلى أمير مكة في عهده: «لا تدع أهل مكة يأخذوا على بيوت مكة أجرا فإنه لا يحل لهم».

* وكان وهب بن منبه على بيت مال اليمن فكتب إلى عمر بن عبد العزيز:

«إني فقدت من بيت مال المسلمين دينارًا».

فكتب إليه: «إني لا أتهم دينك ولا أمانتك، ولكن أتهم تضييعك وتفريطك، وأنا حجيج[1] المسلمين عن أموالهم ولأخسهم[2] عليك أن تحلف، والسلام».

ووقع المهدي إلى صاحب أرمينية – وكان قد كتب إليه يشكو سوء طاعة رعاياه: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

* ووقع هارون الرشيد في قضية البرامكة: «أنبتتهم الطاعة وحصدتهم المعصية».

* ووقع المأمون في قصة متظلم من أبى عباد: «يا ثابت .. ليس بين الحق والباطل قرابة».

وهذه مجموعة منوعة من رسائل مختصرة:

في العزاء:

أما بعد فإن الماضي قبلك الباقي لك، والباقي بعدك المأجور منك، و ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر: ١٠].

أما بعد.. فإن في الله العزاء من كل هالك، والخلف من كان مصاب، وإنه من لم يعتز بعزاء الله تنقطع نفسه عن الدنيا حسرة (الجاحظ).

في الاعتذار:

«أما بعد .. فنعم البديل من الزلة الاعتذار، وبئس العوض من التوبة الإصرار».

وفي العتاب:

قال أحد الشعراء:

تـــود عـــدوي ثم تـزعم أنني ... صديقك إن الرأي عنك لعازب

وليس أخي من ودني رأى عينه ... ولكن أخي من صـدقته المغايب

---

(١) حجيج المسلمين: المحامي عنهم.

(١) لأخسهم: للأقل منهم.

وفي المتنوعات:

وقع الحسن بن علي رضي الله عنه: «حسن السؤال نصف العلم، ومداراة الناس نصف العقل. والقصد في المعيشة نصف المؤونة».

ورفع أهل السواد بالعراق للخليفة خطابًا في إتيان الجراد على غلاتهم فوقع فيها:

«نحن أولى بضيافة الجراد من أهل السواد، فليحط عنهم نصف الخراج»[1]

وكتب المأمون يحذر عامله من أحد الخارجين عليه:

«قلَّ طريق سهل تلقى فيه الحجارة إلا عاد وعرا، والله لا يصلح طريق فيه ابن هبيرة أبدا» ثم استشهد بقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾ [البقرة: ١٤].

وكتب أبو جعفر المنصور إلى عمرو بن عبيد:

«أبا عثمان .. أعنى بأصحابك، فإنهم أهل العدل وأصحاب الصدق».

فوقع في كتابه: «ارفع علم الحق يتبعك أهله».

وكتب رجل إلى وزير المهدي يعتذر ولا يحسن الاعتذار فوقع في كتابه:

«ما رأيت عذرا أشبه باستئناف ذنب من هذا».

الأمثال والحكم

ويدخل في هذا الباب – ما يجب أن يعرفه الدعاة من الشواهد والأمثال السائرة .. إذ يتلقاها السامع عادة بالقبول، نظرا لما لها من المكانة الأدبية أو الأصالة التاريخية.

وفي القرآن الكريم آيات كثيرة جرت مجرى الأمثال، كقوله تعالى:

﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ ﴾ [النساء: ٧٨].

﴿ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ﴾ [الأعراف: ١٧٦].

---

(١) أي الضرائب الحكومية.

﴿ مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥ ﴾ [الأعراف: ١٨٦].

﴿ ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ﴾ [التوبة: ١١٨].

﴿ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴾ [هود: ٨١].

﴿ كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ ﴾ [الرعد: ١٤].

﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ﴾ [الإسراء: ٣٦].

﴿ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴾ [الإسراء: ٣٧].

﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ ﴾ [الإسراء: ٨٤].

﴿ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ﴾ [النمل: ٨١].

﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾ [القصص: ٨٨].

﴿ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾ [فاطر: ١٤].

﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ ﴾ [فاطر: ١٨].

﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الزمر: ٩].

﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ﴾ [فصلت: ٤٢].

﴿ كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴾ [الجمعة: ٥].

﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴾ [المعارج: ١٩].

﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴾ [الفجر: ١٤].

﴿ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾ [العاديات: ٨].

ومن حديث النبي ﷺ:

«إنما الأعمال بالنيات».

«الضعيف أمير الركب».

«الدين النصيحة».

«لا تجن يمينك على شمالك».

«الحلال بين والحرام بين».

«إنما الصبر عند الصدمة الأولى».

«خير المال عين ساهرة لعين نائمة».

«آفة العلم النسيان».

«المرء مع من أحب».

«زر غبًّا تزدد حبًّا».

«أحبب حبيبك هونًا ما».

«الحياء من الإيمان».

«الظلم ظلمات يوم القيامة».

«علق سوطك حيث يراه أهلك».

«اعقلها وتوكل».

«لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين».

«انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا».

«اليد العليا خير من اليد السفلى».

«كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته».

«إذا سرتك حسنتك وساءتك سيئتك فأنت مؤمن».

«رحم الله عبدًا قال خيرًا فغنم أو سكت فسلم».

«الناس معادن.. خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا».

«الحكمة ضالة المؤمن»

«اتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب».

«رأس الحكمة مخافة الله».

«الخلق كلهم عيال الله وأحبهم إليه أنفعهم لعياله».

«جبلت النفوس على حب من أحسن إليها».

«رب مبلغ أوعى من سامع».

ومن الأمثال السائرة:

تسمع بالمعيدي خير من أن تراه. الصيف ضيعت اللبن.

رمتني بدائها وانسلت. مكره أخاك لا بطل.

أتتك بخائن رجلاه. لا ناقة لي فيها ولا جمل.

إذا عز أخوك فهن (يضرب للتواضع) عش رجبًا تر عجبًا.

يكاد المريب يقول خذوني على نفسها جنت براقش

حسبك من شر سماعه اليوم خمر وغدًا أمر

سمن كلبك يأكلك. لأمر ما جدع قصير أنفه (لتفسير حيلة ما)

لو كان يطاع لقصير أمر.

في المعاريض مندوحة عن الكذب (يضرب لذكر شيء يخلص من الحرج وليس بالكذب).

المقدرة تذهب الحفيظة

أنفك منك وإن كان أجدع (يضرب لمن لا يستطيع التخلي عن شيء ولو كان ناقصًا).

إذا ضربت فأوجع وإذا زجرت فأسمع (يضرب في المبالغة وترك التواني والعجز).

إن الجواد قد يعثر (يضرب لمن تحصل منه الزلة وهو جيد).

إياك أعني واسمعي يا جارة.

صدرك أوسع لسرك (يضرب في الحث على كتمان السر).

أضيع من الأيتام في مأدبة اللئام.

طويته على بلاله (يضرب في السكوت عن أمر إيثارا للعافية)

الطير بالطير يصاد (يضرب في الاستدراج).

والنـاس من يلـق خـيرًا قائلـون له ... مـا يشتهـي ولأم المخطـئ الهبـل

إن كنت كذوبًا فكن ذكورًا (يضرب لمن يكذب وينسى أن يستر كذبه)

أين الثرى من الثريَّا (يضرب للفارق الكبير).

بعض الشر أهون من بعض.

تجوع الحرة ولا تأكل بثديها (أي لا تكون مرضعة للأطفال أو لا تتاجر بعرضها).

إنك لا تجني من الشوك العنب.

كانت مواعيد عرقوب لها مثلًا ... ومـا مواعيـدها إلا أبـاطيل.

من طلب شيئا وجده.

من غربل الناس نخلوه (أي جعلوه نخالة).

نـدمت نـدمة الكسعي لمـا ... غـدت مـني مطلقـة «نـوار».

هنيئًا مريئًا غير داء مخـامر ... لعزة من أعراضنا ما استحـلت

إياكم وخضراء الدمن (في حسن الظاهر وقبح الباطن).

إذ زل العالم زلَّ بزلته عالَمٌ (في ضخامة مسئولية العلماء).

الرسائل والتسجيلات والرموز

الرسائل:

قد تكون الرسالة كتابًا صغيرًا .. في موضوع معين.

وقد تكون خطابًا من شخص إلى آخر.

وتدوين الرسائل فن جميل .. قد يساعد على قضاء المصالح وعتق الرقاب من مواقف الموت، واكتساب أعظم الأجر والثواب، وقد ازدهرت هذه الصناعة في العصور الأولى، حتى كانت كتابة الرسائل الناجحة ترشح صاحبها لمنصب الوزارة.

ونستطيع بشيء من التوجيه والتدريب أن ننشئ أروع الرسائل .. كما نستطيع أن نرد على رسائل الآخرين بسرعة وكمال .. إذ لا يجوز إهمال الردود[1].

قال الرافعي رحمه الله: «رسالتك لأخيك هي زيارتك له فلا تجعلها زيارة تافهة».

وإذا كانت الرسالة خطابًا موجهًا فيراعى فيه ما يلي:

١ـ العناية بالخط والتنسيق وكفاية الورق (فإن ذلك يدل على الذوق والاهتمام).

٢ـ تدوين اسم المرسل وعنوانه مع تاريخ الرسالة (كل ذلك بوضوح)

٣ـ تفصيل الموضوع – أو المواضيع – بترتيب حسن – دون إلغاز ولا تخليط ولا تداخل، (فإن حل اللغز أو كشف الشبهة يحتاج لوقت وجهد) فاعف صاحبك من ذلك.

٤ـ العناية بالمغلف من حيث شكله واتساعه وصحة عنوان المرسِل والمرسَل إليه.

وإذا كانت الرسالة ردًّا فيضاف إليها ما يلي:

١ـ الإشارة إلى وصول الرسالة السابقة بتاريخ وصولها مع الاعتذار عن تأخير الرد.

٢ـ استيفاء ما يطلب الرد عليه فقرة فقرة، ويحسن أن يكون الخطاب الأصلي موجودًا عند الرد.

---

(١) قال صاحبي: «إنني لا أهمل الإجابة على رسائل الناس خصوصًا إذا حياني فيها صاحبي بالسلام .. لأن رد السلام فرض .. شفويًّا كان أم كتابة، وإذا تراكمت على فلن أعدم دقيقة أسطر فيها مثل هذا الجواب: «وعليكم السلام ورحمة الله، وصلتني رسالتك وصلك الله وجزاك عن الوفاء خيرًا .. وأرجو أن تهيأ لي المقادير فرصة أوسع لجواب أنسب .. وإلا فمثلك من عذر وستر، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .. أخوك».

٣ـ الشجاعة في الاعتراف بالخطأ – مع الدعاء بالخير- والإشعار بالتقدير.

لقد أدركنا بعض العلماء – يعني بكتابة الرسائل عناية واضحة .. فهو حين يوجه إليك خطابا كأنما يؤلف كتابًا- عرفت من هؤلاء إمامًا جليلًا بمصر، والشيخ محمد الحامد في الشام وغيرهم – رحمهم الله- ولا أزال أحتفظ برسائلهم .. كان الواحد منهم لا يفوته أن يبصرك بجملة أحكام شرعية، ويصحح بعض المفاهيم التي تروج بين الناس .. ويناقش قضايا تدور في الذهن، ثم يورد قصة مشوقة أو نكتة بارعة .. ويلفت النظر إلى ظهور كتاب قيم .. ويوصيك بتقوى الله تعالى.

وهذه نماذج للرسائل المبسطة البليغة:

كتب الحسن بن وهب يعزي ابن إسحاق عن ولده:

«الأمير أعلم بالدين من أن يذكر به، وبالدنيا من أن يدل على ما خلقت له.. كان الله لك في الدنيا ولفقيدك في الآخرة. والسلام».

وله في طلب الحق:

«ضع عني مؤونة التقاضي، ما وضعت عنك مؤونة الإلحاح، وحقق الظن فليس وراءك مذهب ولا عنك مقصر».

كتب يحيى بن خالد من الحبس إلى الرشيد:

«يا أمير المؤمنين؛ إن كان الذنب خاصًا، فلا تعمني بالعقوبة، فإن الله عز وجل يقول: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤، الإسراء: ١٥، فاطر: ١٨، الزمر: ٧].

من وصية مالك بن المنذر لبنيه:

«يا بَنِيَّ: قد أتت عليَّ ستون ومائة سنة ما صافحت بيميني يمين غادر، ولا طرحت عندي مومسة قناعها، ولا بحت بسري لصديق، وإني لعلى دين شعيب النبي وما عليه من العرب أحد غيري وغير أسد بن خزيمة، فاحفظوا وصيتي: إلهكم فاتقوه يكفكم المهم من أموركم، وإن موتا في عز خير من حياة في ذل».

هذا – ولا ينبغي أن يلجأ الداعية إلى الألفاظ المهجورة بل يعمد إلى غيرها من العذب المتناول والسهل المتبع – وفيما يلي نموذجا من الرسائل الوحشية:

* دخل أبو علقمة على «أعين» الطبيب فقال له: «أمتع الله بك .. إني أكلت من لحوم هذا الجوازل[1] فطسئت[2] طسأة أوجعت مني ما بين الوابلة[3] إلى داية العنق[4] فلم يزل يربو وينمي حتى خالط الخلب والشراسيف[5] فهل عندك دواء»؟

فقال له الطبيب: «نعم خذ خريقًا[6] وشلفقًا وشبرقًا فزهزقه وزقزقه واغسله بماء روث واشربه».

قال المريض: «إني لم أفهم منك» قال الطبيب: «ولا أنا».

* مرضت أم لأحد الأعراب – فكتبت على باب المسجد العبارة الآتية:

«صين امرؤ ورُعِيَ، دعا لامرأة انقحلة مقسئنة، قد منيت بأكل الطرموق فأصابها من أجله الاستمصاء، أن يمن الله عليها بالاطرغشاش والابرقشاش»[7].

وأما رسائل البحث العلمي

فإنها تحتل مكانة ممتازة في نشر العلوم والفنون – بالنظر إلى ما تشتمل عليه من فوائد ملخصة موجزة خفيفة المؤونة، وهي مع ذلك نتاج بحث طويل أو ثمرة تجربة نافعة، وهناك

---

(١) الجوازل: أفراخ الحمام.

(٢) طسئت: أتخمت.

(٣) الوابلة: طرف العضد

(٤) داية العنق: فقرة العنق

(٥) الخلب والشراسيف: حجاب القلب ورأس الضلع.

(٦) الخريق والشلفق والشبرق: أنواع من النباتات البرية

(٧) أي صان الله امرءًا دعا لامرأة عجوز شمطاء ابتليت بأن أكلت خفاشًا فسبب لها ذلك إسهالًا – لعل الله أن يمن عليها بالشفاء والعافية.

كثير من الدعاة شغلتهم الرحلة عن جلسات التأليف الطويل، فدونوا رسائلهم في حدود الظروف العسيرة التي عاشوها.

فعندما سجن «أحمد بن تيمية» أكثر من الكتابة فعاقبوه بمنع الورق والقلم عنه – فكان يستعمل بقايا الفحم في تدوين رسائله على جدران السجن .. وقد تحقق أمله بعد وفاته، فأصبح المنقول من هذه الرسائل شيئًا كثيرًا حفظ ضمن تراثه الكبير، وعلى كل حال، فإن صاحب الدعوة المشغول بها ينتهز كل فرصة لتبليغها .. كما قال الله تعالى لنبيه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾[المائدة: ٦٧].

الرسوم

ليس التعبير ملكًا للخطباء دون الكُتَّاب، ولا هو للكُتَّاب دون الفنانين والشعراء، فالتعبير عن المشاعر يبدو في صور شتى.

وكثيرًا ما تستوقف الإنسان تلك الخطوط «الكاريكاتيرية» التي ترسم في بعض الصحف وتحتها كلمة أو جملة هي في الواقع أبلغ من مقالة طويلة .. وأكثر تشويقًا وأسهل تناولًا.

وكما أنهم يعرفون البلاغة بأنها «ما قل ودل» أو بجمال اللفظ ودقة المعنى، فلا شك أن هذه التعبيرات الرمزية كثيرًا ما تدخل في باب البلاغة، وفيها قوة التأثير، فنوصي الدعاة بالإلمام بمغزاها حين يلتقي كل ذلك مع وجهات النظر الخيرة.

التسجيلات

وقد أدركنا في العصر جملة من المخترعات الحديثة يمكن أن يستعان بها في نشر الدعوة أيضا، كما نشأت أقسام للتسجيلات الصوتية في معظم المكتبات العالمية، ينتفع بها المكفوفون وضعاف البصر والمتعبون والمتعجلون.

وقد أعانت المخترعات الحديثة على سهولة التسجيل، ومضاعفة النسخ، وأصبح من الميسور تسجيل القرآن الكريم كاملًا بتلاوة جيدة على قرص واحد من أقراص التسجيل يحمله المرء في يده أو يرسله إلى أي مكان بعيد.

وفي إحدى المكتبات رأينا موظفًا لا يترك زائرًا غريبًا يمر بالبلاد إلا سجل له حديثًا عن أحوال بلده، ذلك لأن الصحف ووسائل الإعلام ووكالات الأنباء، ليست مصدرًا كافيًا للمعرفة الدقيقة في كل الأحوال.

يستطيع الداعية إذن أن يسجل بعض سور القرآن الكريم بتلاوته هو لأبنائه، وأن يسجل بعض البحوث أو المحاضرات ثم يبعث بها لتسمع في أماكن أخرى، ويعمد الكثيرون لتسجيل النصائح القيمة، والوصايا والندوات العلمية، وإعادة عرضها، كما تفعل الإذاعات المسموعة والمرئية، وكل ذلك معلوم ومشهور.

وإنما وجبت الإشارة إليه استيفاء للبحث في هذه العجالة.

مختارات

* إن اتساع نطاق العلم شيء، وتحقيق السعادة به شيء آخر.

* إن الحرب تتبعها مصائب كثيرة – كخراب الذمم والكفر بالقيم وهذا ما جعل (تلك البلاد) (تحمل) حملها من الأفكار الضارة ثم (تضعه) في ديارنا .. كالوليد المشوه.

* كان الدين حصنًا منيعًا للمجتمعات التي آمنت به .. وآمنت بضرورته لها، فلما فقد الشباب مناعة الدين، انهاروا لأنهم وقعوا صرعى فساد التوجيه، وضعف حصون المناعة.

* الواقعون في الملذات واقعون في الوهم أيضا – لأن آلامهم كثيرة وخسائرهم أكثر...

* الحلال ممتع وميسور، وصدق الله إذ يقول: ﴿ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ﴾[الأعراف: ١٥٧].

* الذين لا يؤمنون بالله، مصابون ببلايا لا حصر لها من السأم .. والقلق .. والحيرة .. واليأس .. وانقطاع الأمل.

* الجيل الخائب يكرهنا ولكنا نشفق عليه – فنحن ندعوه إلى السلام والطمأنينة وهدى النبوة، وهو يندفع ركضًا وراء صراع الطبقات وباقي المهلكات.

* ليست صنعة إصلاح في أن تقول للمخطئ إياك والخطأ، ولكن المهارة أن تهيئ له مجتمعًا، أو ترسم له طريقًا يعينه على الصلاح.

* المذنب لا يجهل حاله – وإن كابر فيه- ولذلك فإن النصح أبغض شيء لديه، لأنه كشف للعورة التي يحاول سترها، ولهذا قال تعالى:﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾ [النحل: ١٢٥]. وكأنه يقول لنا: «لا تجرحوهم .. وارحموهم .. لينقادوا لكم».

* هناك مشاكل يحلها الرجل الشجاع، ويعالجها العاقل الحكيم، وهناك مشاكل: كالغرق، والحريق .. وانهيار المجتمعات أخطر من انسياب الماء والنار﴿ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ﴾[البقرة: ٢١٧].

* ليس أهلًا لمعرفة الحقيقة من تتلمذ على الصحف والإذاعات، إن العلم يختلف كثيرًا عن «الإعلام».

* إذا ضعفت الشخصية .. أو ضعفت الصحة – مال صاحبها إلى الهرب من المسئولية- وركن إلى السلبية.

* قولوا للناس: «من عجز عن البناء .. فلا ينشغل بالهدم .. اتركوا البنائين يعملون، واتركوا الورعين على ورعهم لا تستهزئوا بهم .. فهم نماذج مطلوبة .. لأن الأكثرية تسير في طريق الانحدار».

* الحب في الله يوفر الزمن كما يوفر الثقة – وتلك ثروة هائلة.

* إن كثرة القوانين في بلد ما، تدل على قسوة الحاكمين أو انحراف المحكومين أو سوء ظن بعضهم ببعض، لقد طلب عمر بن الخطاب أن يقيله أبو بكر من وظيفة القضاء؛ لأنه جلس سنة كاملة لم يتقدم إليه اثنان في خصومة.

* من الكياسة أن نفترض أن رأى المعارض لك باطل يحتمل الصواب وأن ما تراه حقًّا يحتمل البطلان.

* إذا ضعفت صلة العبد بالخالق، ذهب يلتمس الوسيلة إلى النجاة بالمخلوقين، وقد نهى الله عن ذلك بقوله: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ﴾ [البقرة: ١٨٦].

* إن الذي يتولى القضاء والمصالحة لابد له من موقف يغضب فيه أحد الفريقين.

* في المشاكل العائلية تسيطر العواطف على القضايا، ولذلك ليس المطلوب فيها هو الحق وحده، بل مع الحق العاطفة.

* لماذا يتعرض الناس لأمراض القرحة وضغط الدم والنوبات نتيجة للعداء والخوف، ثم يعجزون عن توفير الخير لأنفسهم ولغيرهم بالمحبة والثقة؟

* بعض الناس يخجل من الإيمان ومن ارتباطه بالمؤمنين، ولكنه لا يخجل من أن ينتحر حين يفقد الإيمان، أو حين يضل عن إيجاد حلول لمشاكل حياته.

أخطاء الإنسان الستة كما قالها شيشرون:

١ـ الاعتقاد بأن التقدم الفردي يقوم على سحق الآخرين.

٢ـ القلق بشأن الأمور التي لا يمكن تغييرها.

٣ـ الإصرار على أمر مستحيل لأننا أخفقنا في القيام به.

٤ـ التمسك بالأفضليات القائمة على أساس شخصي.

٥ـ إهمال تطوير العقل وتثقيفه.

٦ـ محاولة إجبار الآخرين على تقبل معتقداتنا في الحياة.

* لا تبالغ في الثقة بقدرتك على صياغة العبارات الإنشائية، فإن المدارس قد خرَّجت عشرات الآلاف من أمثالك في نفس العام.

ولابد لك من أن تقرأ قبل أن تكتب، وإذا لم تكن لديك أفكار جديدة فلا تكتب ولا تخطب، وتصدق على الناس بالصمت.

* للإحصاءات أهمية كبيرة في فهم الواقع والإقناع به، وأحيانًا يكون مجرد سردها قاطعًا للجدل.

* لقد ظهرت نظريات جيدة في علم الاجتماع، والإلمام بها يجعلك أقدر على التوجيه، وتقديم العلاج الصحيح، كما تفيدك دراسة علم النفس والمنطق في فهم حركات الناس والإشراف على المجتمع من القمة.

* لقد كفر كثير من الناس بالقديم، ولم يتعرفوا على جديد يستأهل أن يؤمنوا به، وفيما بين هذه الطرفين – يوجد مكان للدعاة ومن هنا تنشأ مسئوليتهم الكبيرة.

* ولا سبيل إلى تغيير آراء الآخرين إلا بحجة قوية تفرض نفسها، ولذلك فادع، وله فجاهد.